التراث الفكري في عنان الماضي والحاضر

للعلامة يحيى اسماعيل بن علي الحمزي

حظيت اليمن على مدى عصورها الاسلامية بوفرة انتاجها العلمي ، وتدفق عطائها الفكري ، فلم يؤثر على الاطلاق أن تخلف علماء اليمن المبرزون ، او جمدوا على راي مَنْ قبلهم ، او وقفوا عند فكرة معينة ، بل كانوا يندفعون مُجددين ومُبدعين في شتى ميادين الفكر — ولا سيما علوم الاجتهاد — (١) ولم يُفتهم فن من فنون الثقافة الاسلامية — ولا علم من علوم حضارتها إلاّ ركبوا مَتْنه ، وخاضوا عُبابه واتوا بالعجب العجاب فأثروا بثمار عقولهم المكتبة العربية الاسلامية وامدّوها بذخائر الفكر ، وخلفوا ثروة طائلة من الأبحاث والمصنفات العديدة . ولم ينقطع نشاطهم الفكري حتى في الفترات العصيبة التي كانت اليمن خلالها تتعرض لمحن قاسية وحروب أهلية ضارية تعصف بامنها واستقرارها ، وتمزق اوصالها ، وتأتي على الأخضر واليابس .

وقد تعددت مناحي تلك الأبحاث والمصنفات في الأدب واللغة وعلوم العربية والتشريع والعلوم الفلسفية والتاريخية والاجتماعية والترجمة والفلك والطب بنوعيه والزراعة وغير ذلك ، وتنوع بعضها بتنوع الوان الحكم في اليمن ، واتسم بعضها بطابع المذاهب والعقائد ،

---

(١) من اسس المذهب الزيدي فتح باب الاجتهاد والدعوة اليه لمن ملك وسائله من علوم العربية ، وكان من ابرز علماء اليمن المجتهدين الذين لم يتقيدوا باي مذهب من المذاهب الاسلامية المشهورة ، نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ ، ومحمد بن ابرهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ ، والحسن بن احمد البلال المتوفى سنة ١٠٨٤ ، وصالح بن مهدي المقبلي المتوفى بمكة سنة ١١٠٨ ، ومحمد بن اسماعيل الامير المتوفى سنة ١١٨٢ ، ومحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ .

فكان لكل مذهب مؤلفاتُـه ، ولكل عقيدة مصنفاتُها ؛ فكان هناك كتب اهل السنة ، وكتب الزيدية بفروعهـا (٢) وكتب الشافعية ، وكتب الحنفية ، كما كان هناك ايضا كتـب الاسماعيلية (الباطنيـة) .

ثـم ظهر الاعتزال في اليمن في المائـة السادسة حينما قَـدِم اليها زيـدُ بن الحسن بن على البَيْهقي البروقاني سنة (٤٥٠) (٣) بتكليـف من الشريف على بن عيسى بن حمزة السُلَيْماني (٤) رئيس العلماء بمكـة في عصره — وكان زيدي المذهب — لمـا بلغه من انتشار المُطرفية فـي اليمن فعهد الى البَيْهقي بالمسير الى اليمن ليصدّ اهـل اليمن عن اعتناق هذا المذهب الذي كان قـد انتشر في اليمن الأعلى ، فقَـدِم كمـا ورد في ترجمته — ومعه كتب غريبة وعلـوم عجيبة ، فنزل بصعدة فأقام بهـا سنتين ونصف السنة يدرّس وينشر الاعتزال ، ثـم ذهب الى هِجـرة مَحْنَكة (٥) حيث كان يوجد بهـا الامام احمد بن سليمان المتوفى سنة ٥٦٦ فأخذ عنه الامام وشاركه في ذلـك القاضي جعفر بن احمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٢ . ثـم رحل القاضي جعفر الى العراق فوجـد مذهب المعتزلة منتشراً هناك ، ووجـد من بقي فيه من الزيدية قـد تحولوا الى الاعتزال فأخذ عنهم ، ثم عـاد الى اليمن ومعه كتب كثيرة .

---

(٢) الهادوية والمطرفيـة والحُسَينية .

(٣) نسبة الى بروقن : قريـة من نواحي بلخ من خراسان . وكان عالمـا من علماء زيدية الجيـل والديلـم .

(٤) وهـو الذي اهدى اليه جـار الله الزمخشري تفسير الكشاف المشهـور في صـدر مقدمـة الكتـاب .

(٥) مَحْنَكة : بلـدة صغيرة في بـلاد خولان بن عمرو بالقرب من حَيْدان ، وكانت احدى هجَر العلم المنتشرة في اليمن . ولمـا كتاب عن الهِجَر في اربـع مجلدات سيصـدر قريبا ان شاء اللـه .

وكـــان اهتمام الامام المنصور عبد الله بن حمزة المتوفى سنـــة ٦١٤ بالاعتزال لا حدود لـــه ، فقد بذل جهوداً كبيرة في الحصـــول على كتـــب المعتزلـــة وبعث علماء الى خارج اليمن ليقتنوا لـــه كتبها شراء واستنساخا فجمعت مكتبتـــه (٦) منها ومن غيرها عدداً كثيراً حتى صارت من اغنى المكتبـــات في اليمن .

وقـــد انتشر الاعتزال عند علماء الزيدية فكانوا هادوية في الفروع ، معتزلة في الأصول ، إلاّ في مسألة الإمامة فقـــد خالفوا المعتزلة (٧) ، كما ان المجتهدين من علمـــاء الزيدية الذين تحرروا من المذهـــب وعملـــوا بالكتاب وصحيح السنة قـــد وقفوا من الاعتزال موقفاً معارضـــاً ، وكـــان على راس هؤلاء العلامة المجتهـــد محمد بن ابرهيم الوزير ومن قبلـــه العلامة حُمَيْدان القاسمي من اعلام المائـــة السابعة الذي وقف موقفـــاً معارضـــاً للاعتزال ، ولـــه مؤلفات في ذلك .

كـــان في اليمن عدد كثير من خزائن الكتب ، وكان اعظمها بخزائن الكتب وننائسها خزائن الملـــوك والائمة والامراء ، لما لهم من اهتمام كبير في جمع الكتب واقتنائها والاستكثار منها كما هـــي عاداتهم في كـــل زمان ومكان ؛ وكان اشهر تلـــك الخزائن خزانة السلطان الملـــك المؤيـــد داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول المتوفـــى سنـــة ٧٢١ اذا كانت تحتوي على مائة الف مجلد ـــ كما يقول الباشمي في مـــرآة الجنان،والدَّميري في حيـــاة الحيوان ـــ فقد كان يهوى جمـــع الكتـــب

---

(٦) الامامة عنـــد الزيدية محصورة في اولاد الحسنَيْن وعند المعتزلة في الأئمة والأفضل مـــن المسلمـــين .

(٧) كانت مكتبته في هجرة ظفـــار ذيبين : مقر سلطان ودار ملكه . وقد تفرق كثير منها بمرور الايام وبقي منها بقيـــة صالحة نقلها الامام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين المتوفى سنة ١٣٦٧ الى جامـــع سنعاء كما سيأتي بيـــان ذلك قريبا .

والتحف فكانت تحمل اليه من كل جهة ، وكان عنده مع ذلك اكثر من عشرة نساخين ينسخون الكتب وترفع الى خزينته بعد مقابلتها . ولما اهدى اليه كتاب الاغاني بخط ياقوت الحموي اجاز المُهدي مائتي دينار مصرية ، وقيل مائة الف كما ذكر ذلك ابو الفدى في تاريخه .

ومن المكتبات الشهيرة مكتبة الامام المنصور القاسم بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٩ ومكتبات اولاده واحفاده لأنهم كانوا علماء مبرزين فاجتمع لهم بحكم علمهم وإمارتهم من نفائس المخطوطات ونوادرها ما لم يجتمع لغيرهم .

وكانت مكتبة عمر بن علي بن محمد بن ابي بكر العلوي المتوفى سنة ٧٠٣ من المكتبات الشهيرة في زبيد ، فقد كان فيها كما يقال خمسمائة ديوان (٨) من الشعر كما ورد في ترجمته . وورد في ترجمة الأمير عبد الله بن العباس الحجاجي المتوفى سنة بضع وسبعين وستمائة بانه جمع من الكتب ما لم يجمعه احد من نظرائه حتى قيل : ان خزائنه في مدينة الجَنَد جمعت اكثر من خمسة آلاف كتاب . وورد في ترجمة جمال الدين الريمي المتوفى سنة ٧٩١ بان مكتبته كانت تضم الفي كتاب .

وهناك كتب كثيرة موقوفة على الجوامع والمساجد فتوجد مكتبة في جامع صنعاء ، ومكتبة في جامع زبيد ومكتبة في مسجد الأشاعر بزبيد ايضا ، ومكتبة في جامع المُظَفر بتَعز ، ومكتبة في جامع الامام الهادي بصعدة ، ومكتبة في المدرسة الشمسية بذمار ، ومكتبة في جامع ذي جبلة ، ومكتبة في جامع اب ، ومكتبة في جامع شهارة ، ومكتبة في جامع هِجْرة ظَفير حجّة ، ومكتبة في جامع ضُوران ، ومكتبة في جامع الرَّوضة ،

---

(٨) العقود اللؤلؤية ١ / ٢٥٦ وانظر ترجمته في كتابي (المدارس الاسلامية في اليمن) ، ١٤٨ .

ومكتبة في قبة طَلْحة بصنعاء ، ومكتبة في قبة المهدي العباس بصنعاء ، وجميع هذه المكتبات هي من أوقاف العلماء والفضلاء والأئمة والملوك والأمراء ، ولكنها قد تناقصت وفُقِد اكثرها ، ولم يبق في بعض هذه المكتبات إلاّ النزر اليسير ، وفي بعضها لم يعد لها اثر . ويعود السبب الى ان المستعيرين للكتب من هذه المكتبات كان اكثرهم لا يرجع ما استعاره — كما حدث في مكتبة المدرسة الشمسية في ذمار ، فقد سمعتُ من والدي رحمه الله ان كثيراً من شيوخ العلم بها وذكر اسماء بعضهم كانوا يستعيرون الكتب ويقتنى لديهم بعذر انهم محتاجون اليها لتدريس طلابهم فلا يرجع من تلك الكتب إلاّ ما ندر .

ومن اسباب فقدانها الاهمال والضياع وسرقة ما امكن ، وتهاون حُفّاظ بعض تلك المكتبات في الحرص عليها فكانوا اذا اعوزتهم الحاجة باعوا منها ما أمكن . وقد وجدتُ بعضاً من هذه الكتب معروضة للبيع وهي في الأصل من وقف بعض المساجد واخذتها واحتفظت بها في المكتبة الغربية بجامع صنعاء .

وقد تعرضت مكتبة جامع الامام الهادي بصعدة لنهب معظم محتوياتها حينما كانت تحترب القوات الملكية والقوات الجمهورية للاستيلاء على صعدة وحدث الشيء نفسه لمكتبة ظفير حجة ولا اعرف بالتحديد ما كان يوجد في تلك المكتبات كلها إلاّ انّه يوجد فيما بقي من مكتبة جامع الهادي بصعدة بعض أجزاء من التِبْيان في احكام القرآن (٩) لنشوان بن سعيد الحِمْيَري وهو من الكتب النادرة (١٠) ، ويوجد كذلك

---

(٩) نَهَجَ في تفسيره طريقة خاصة فهو يأتي بالآية ثم يرد فيها بالقراءات ثم اللغة ثم اسباب النزول ثم النظم وهو ارتباط الآية بما قبلها ثم المعنى فالأحكام .

(١٠) يوجد بعض اجزاء منه في مكتبة الامبروزيانا في ميلانو بايطاليا .

ضياء الحلوم لمحمد بن نشوان الحميري مختصر من شمس العلوم في اللغة ويوجد فيها ايضا نظام الغريب . ويوجد فيما تبقى من مكتبة جامع تعز ، وهي من اوقاف ملوك بني رسول ، شرح المفصل للزمخشري منسوخ في المائة السابعة في عصر المؤلف،والاكمال لابن ماكولا المتوفى سنة ٤٨٦ (الجزء الرابع)،وديوان الأدب لاسحق بن ابرهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ (الجزء الاول) بخط نفيس،وبعض أجزاء من البيان في فقه الشافعية ليحيى بن ابي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٨ واجزاء من التفقيه شرح التنبيه (لابي اسحق الشيرازي) تأليف جمال الدين الرّيمي .

ويوجد في جامع الروضة نحو اربعمائة مجلدة منها نسخة اثرية من شمس العلوم لنشوان الحميري ، ويوجد في قبة طلحة بصنعاء مجموعة من الكتب النادرة تبلغ خمسمائة مجلدة ، وهي من وقف بانيها الامام المهدي عبد الله بن المتوكل احمد المتوفى سنة ١٢٥١ ، وهي مما اقتناها وورثها عن والده الذي يقال إنه كان في خزانته آلاف الكتب . وفي هذه المكتبة مجموعة من المصاحف الاثرية المذهبة بعضها بخط ياقوت المستعصمي .

على ان اثرى هذه المكتبات هي مكتبة الأوقاف بجامع صنعاء وهي مجموعة من وقف الحاج سعيد بن علي البواب الحاشدي ، ووقف القاضي محمد بن قَيْس ووقف الامام المهدي احمد بن الحسن بن الامام القاسم ، ومن وقف النقيب الماس وبها كتب كثيرة من مكتبة آل الوزير ، فقد ذكر العلامة يحيى بن الحسين بن الامام القاسم في كتابه (طبقات الزيدية) في ترجمة صلاح بن احمد بن عبد الله الوزير ما لفظه : ولهم خزانة كتب جمعوها ما زال اللاحق يجمع الى ما جمعه الأول حتى اجتمعت كتب كثيرة ، ثم ما زالت الى زماننا هذا ، وذكر لي بعض

اولادهم أن الباقي منها مائـــة مجلد من أعيانها : الديباج للقاضي عبد الله الدوّاري ، والمحجة البيضاء لعبد الله بن زيـــد ، وجامع آل محمد ست مجلدات ، وجامع المسانيـــد لابن الجوزي في الحديث ، والمنهاج الجلي في مذهب زيـــد بن علي ثلاثة مجلدات ، وهي نسخة قُرِئت على المصنف ، وكتب ضياء الحلوم في اللغـــة مجلدات ، وكتاب تهذيب الحاكم ثمانيـــة مجلدات ، والأطراف للمزي في الحديث ، والمواسم والتواسم في النيابة عن سنة ابـــي القاسم للسيد محمد بن ابرهيم الوزير في اربعـــة مجلدات ، وتفسير الهادي ، وشرح المنتهى الكبير ، وجـــزء كبير من تاريخ الخطيـــب في الحديث والتراجم ، وتاريخ مسلـــم اللحجي ، وسيرة علي بن صلاح في جزاين ، وجزء من سيرة والـــدة صلاح الدين وغير ذلك من الكتب ثم قال :

وفي هـــذا الوقت طلب آل الوزير قسمتها بينهـــم وتصرفوا فيها وتفرقت بعـــد أن كانت مجتمعة وذكر لـــي بعض اولادهم انها كانت في بيـــان بخط آبائهم قـــدر تسعمائة كتاب ورايت البيان كذلك ، فلم يبق منها الا القدر المذكور . نعـــم ، وبعد قسمتها وتفرقتها كما ذكر ، امـــر الامام المتوكل على الله اسماعيل ـــ رضوان الله عليه ـــ بجمعها كما كانت مجموعة فجمع منها بعضها ممـــا امكن جمعها ، وجعلت في خزانة في أروقي مؤخر جامع صنعاء وهي فيـــه الآن ، ولم يبق للسادة (بيـــت الوزير) فيهـــا تصرف (١١) .

وقـــد امـــر الامام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين ببنـــاء خزانة في الجامع الكبير لهذه الكتـــب الموقوفة وتـــم بناؤه سنة ١٣٤٤ وجمع اليها الكتب الموقوفة ثـــم اضاف اليها ما بقي من خزانة الامام عبد اللـــه ابن حمزة في هجرة ظفار ذيبين ، كما ضم اليها ما بقي من كتب الأمير محمد

---

(١١) معظم هذه الكتب لم يعـــد لها وجود .

ابن الحسين بن الامام القاسم الموقوفة على ذريته بعد أن قلّ المنتفع منهم بها وغير ذلك من الكتب الموقوفة ، ثم نقل اليها المصحف الكوفي المكتوب على الرق من مسجد الشّهيدَيْن بصنعاء بعد ان ذهب من آخره عدة اجزاء وهو من أقدم المصاحف في العالم ، ويظهر ان احد سَدَنة مسجد الشهيدين قد نزع بعض اوراقه وباعها لهواة المخطوطات مع ان هذا المصحف كان كاملاً الى ما قبل نحو ثمانين سنة ، فقد ذكر القاضي العلامة المؤرخ محمد بن احمد الحجري — رحمه الله — في مقدمة فهرسته لهذه الكتبة ما يلي : « وقد اخبر جماعة من علماء العصر ممن كان شاهَد هذا المصحف وقراه انّه كان كاملاً وأنّهم شاهدوا في ختامه ما لفظه (وكتبه علي بن ابو طالب) وممن اخبر بهذا القاضي العلامة محمد بن عبد الله الجنداري انه شاهد هذا سنة ١٣١٢ . واخبر السيد العلامة علي بن حسين الشامي عن شيخه صفي احمد بن عبد الله الجنداري بمثل ما تقدم ، وروى القاضي العلامة الصفي احمد بن احمد الجرافي عن شيخه العلامة علي بن حسين المغربي نحو هذا وزاد انه كان يجنب اسم امير المؤمنين علي رضي الله عنه ما لفظه : « وزيد بن ثابت » . وأوقف عليها الامام يحيى مجموعة ثمينة ونفيسة من المخطوطات (١٢) كما أوقف عليها مكتبة ابنه الأمير سيف الاسلام محمد البدر الذي مات غرقا في البحر في آخر سنة ١٣٥٠ .

---

(١٢) ولعله (من الكتب التي استخرجها من شهارة . فقد ذكر القاضي احمد بن عبد الله الجنداري في كتابه الجامع الوجيز في ترجمة لطف الله بن محمد بن الغياث المتوفى بظفير حجة سنة ١٠٣٥ ما لفظه ان كتب السيد محمد الولي التي نقلت من الطائف الى جدة وجعل امر ولايتها الى الشيخ لطف الله بن الغياث وعددها اربع عشرة مجلدة ثم عهد بها الى تلميذه الامير الحسين بن الامام القاسم بن محمد ونقلت الى شهارة ثم قال الجنداري وقد ذهب اكثرها وبقي بقية في شهارة استخرجها سيف الاسلام يحيى (الامام يحيى) بن المنصور .

ويقدر عددها في هذه الخزانة بنحو خمسة آلاف كتاب مخطوط [١٢] ويوجد فيها من نوادر المخطوطات ما لا يوجد في غيرها فمنها مثلا ديوان ذي الرمة مكتوب بالخط الكوفي من المائة الثالثة وكذلك الكتاب لسيبويه الجزء الرابع والثامن من القرن الثالث ، ويوجد بها كتاب المُغني في اصول الدين للقاضي عبد الجبار بن احمد شيخ المعتزلة المتوفى سنة ٤١٥ ، وهو مما نقل من مكتبة الامام عبد الله بن حمزة ، والموجود منه المجلد الاول والرابع والخامس والسادس والتاسع والثامن والتاسع والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والسادس عشر والعشرون . ويلي الجزء الاخير (الجواب الناسم المُغني لشُبَه المُغني) للعلامة محمد بن احمد بن علي بن الوليد من اعلام المائة السادسة وقد ناقض فيه القاضي عبد الجبار فيما خالف فيه الزيدية في مسألة الامامة وقد كتب برسم مكتبة الامام عبد الله بن حمزة . وقد صورته بعثة جامعة فؤاد (جامعة القاهرة) فيما صورته سنة ١٩٥٢ ونشر الموجود منه في مصر تحت اشراف الدكتور طه حسين .

ويوجد بها القاموس المحيط بخط جميل جدا ، وهو مكتوب بالذهب ، ويوجد بها الاسعاف شرح شواهد الكشاف للشيخ مختصر بن عبدا الله الموصلي اكمل تاليفه سنة ١٠٠٣ وهو تاريخ نسخ الكتاب وتقع في مجلدين بخط جميل مزخرف بالذهب .

وفي هذه المكتبة عدد كثير من الكتب بخط مؤلفيها مثل الايجاز في علوم الاعجاز وكذلك الانتصار وكلاهما للامام يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ والفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار وتحفة الذاكرين شرح عدة

---

(١٢) سنبدأ بفهرستها في مطلع العام ١٤٠٢ - ١٩٨٢) ان شاء الله .

الحصن الحصين ، ووبل الغمام على شفاء الاوام ، والسيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار وجميعها لشيخ الاعلام محمد بن علي الشوكاني ، وبها بعض اجزاء من فتح الباري بخط مؤلفه الحافظ بن حجر ، وتراجم آل الوزير بخط مؤلفه الهادي بن ابرهيم الوزير المتوفى سنة ٨٢٢ ، كما يوجد بها رسائل بخط البدر محمد بن اسماعيل الامير والحسن بن احمد الحلال ويحيى بن الحسن بن الامام القاسم بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ وغيرهم.

ويوجد في الجامع الكبير مصاحف نادرة مذهبة في غاية من جمال الخط واتقانه كما وجدنا في الخزائن العلوية في سطح الجامع مجموعات كثيرة من المصاحف المبعثرة النادرة المكتوبة بالخط الكوفي على الرق وتقدر بأكثر من خمسة عشر كيساً عدا ما فُقِد منها نتيجة الإهمال والضياع .

وتوجد بجامع صنعاء مكتبة اخرى تعرف بالمكتبة الغربية وهي تحتوي على مكتبة الامام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين وقد نقلتُها من قصره (دار السعادة) الى الجامع الكبير منذ بضع سنين ثم مكتبة الامام احمد بن الامام يحيى وقد كانت في قصره (بستان الخير) بصنعاء ثم اضفنا اليها مكتبة في قصر (سِمْدان) بمدينة حَجَّة بعد ان تم نقلها سنة ١٢٩٧ (١٩٧٧) . ويوجد ايضا بعض المخطوطات التي كانت في قصور الأمراء . كما تم نقل مخطوطات مكتبة المدرسة العلمية بصنعاء التي انشأها الامام يحيى سنة ١٣٤٤ الى المكتبة الغربية . ويوجد بها ايضا مكتبة آل الوزير (١٤) المتأخرين وقد صادرها الامام احمد من قصورهم سنة ١٩٦٧ في اعقاب استيلائه على صنعاء واستعادته الحكم منهم .

---

(١٤) الامام عبد الله بن احمد الوزير والأمير علي بن عبد الله الوزير .

كمـــا ان بها مكتبة شيخنا العلامة ثابت بن سعد بهران وقد اوقفها على هذه المكتبـــة وفيها مجموعة كثيرة من المخطوطات وجلّها مـــن المطبوعات . ثم الحقنا بها ما تـــمّ شراؤه من المخطوطات ويقـــدر بخمس الـــف وخمسمائة مجلـــدة ورسالة . وتحتوي مكتبـــة الامام يحيى على نفائس الكتب ونوادرها ، فهي غنيـــة بالمخطوطات الفريدة التي لا نظـــير لهـــا في المكتبات الاخرى ، فمنها سير اعلام النبلاء للذهبي المتوفى سنـــة ٧٤٨ والسلوك في طبقات العلماء والملـــوك للجندي المتوفى سنـــة ٧٣٠ والمسجد المسبوك والزبرجد المحوك لعلي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ ، وكذلك طراز اعـــلام الزمن في طبقات اعيان اليمن لـــه ايضا وغير ذلك مـــن النوادر .

وقـــد تمت فهرسة قسم كبير من المخطوطات بالتعاون مـــع المجلس الوطني للثقافة والفنـــون والآداب في الكويت ، وقامت الهيئة العامة للآثار ودور الكتب بطبعه ونشره ويقع في الـــف صفحة ويشمل ١٩٧٨ مجلـــدة وهي تحتوي على (٤٢٣٦) موضوعا منهـــا (٢٧٥٢) مدخل عنـــوان مستقل و (١٤٨٤) مدخل عنوان متكرر . وقـــد شمل المواضيع التاليـــة التفسير والقـــراءات والحديث والسيرة وعلـــم الكلام والفقه واصول الفقـــه الفرائض ـــ وقد استأثرت هذه العلوم بمعظم ما في المكتبة ـــ ثـــم المعارف العامة والادب والتاريخ والمنطق والعلـــوم الاجتماعية والعلوم الخفية واللغـــة والجغرافيا والبلاغة والنحو والصرف والعروض والقوافي والرياضيات والفلك والطب والطب البيطري والزراعـــة .

ونعمـــل الآن على اكمال فهارس بقية ما لـــم يفهرس من هـــذه المكتبة ثـــم مكتبة الاوقاف ان شاء اللـــه .

توجـــد مكتبات خاصة كثيرة في كثير من المـــدن وعبر العلم فـــي اليمن لا نعرف عن محتوياتها الا ما نـــدر بالسماع واحيانا بالمشاهدة .

ففي صنعاء مثلا اكثر من اربعين مكتبة وفي كل من الروضة وذمار ورداع ويريم وإبّ وتعز وذي جبلة ، وزبيد وبيت الفقيه والتّحَيْتا والمَراوعة والمُنيرة والزَّيديّة وحَجّة وصَعدة وحُوث وشَهارة وهِجَر الأهنوم مثل المَدان ومَعْمَرة والعُنْسُق وعِلمان ، وكذلك حَبُور والمداير والسُّودَة والكِبْس وإريان والذّاري وذيبين وخَمِر وثُلاء وشِبام وكوكبان والطويلة ومَناخة وعِرّ الحيمة وغيرها من المدن والهِجَر عدد كبير من المكتبات المشهورة وسأذكرها بالتفصيل في بحث قادم ان شاء الله تعالى .

وما يوجد في هذه المكتبات الخاصة ومكتبات الأوقاف ومكتبتي الجامع الكبير لا يمثل الا القليل مما كان يوجد في اليمن من تراثها المشهور فقد فُقدت آلاف المخطوطات ، منها ما ذهب ضحية إغارة القبائل على المدن لا سيما صنعاء وصعدة حيث كانوا يتلفون كثيراً منها حرقاً وتمزيقاً ، وما سَلِم منها يُفقد احياناً العنوان واسم المؤلف فيصبح مجهول الاسم والنسب . وكان آخر مرة تعرضت صنعاء فيها لمثل هذا الزحف القبلي العارم سنة ١٣٦٧ (١٩٤٨) حينما تولى الامام عبد الله بن احمد الوزير الحكم في اعقاب مقتل الامام يحيى فحرض الامام احمد حميد الدين المتوفى سنة ١٣٨٢ (١٩٦٢) القبائل على دخول صنعاء حتى يتمكنوا من اخذ الثأر من قتلة والده فتدافعت القبائل بأسلحتها ومعاولها وما بها الحرص على نصر حق وازهاق باطل او إقامة إمام واسقاط إمام آخر بقدر ما كانت الاطماع تحركها لنهب بيوت صنعاء والاستيلاء عليها وعلى ما بها من كنوز وتحف واموال فاقتحمت الأسوار ، ودخلت البيوت ونهبت ما فيها واقتلعت الأبواب والنوافذ ، ودمرت وافسدت خلال ثلاثة ايام حضارة مئات السنين ولم تَسْلم إلاّ قلّة من البيوت ، منها بيوت آل حميد الدين وانصارهم وانصارهم وبعض بيوت استطاع اهلها حمايتها والدفاع عنها بالمال .

وربما كان اشد عوامل التلف والتدمير للكتب ما كان يقوم به الحاكم من اتلاف كتب مخالفيه في العقيدة او المذهب كما حدث للترجمة المطرفية فقد قضى عليها الامام المنصور عبد الله بن حمزة وقضى على تراثها مع ان المطرفية هم من الزيدية ، ولكنهم خالفوها في مسائل فكفروهم بالإلزام فعلماء التطريف مثلا يرون في الامامة انها تصلح في الأتقى والأعلم كالمعتزلة .

وكما حدث لكثير من تراث الشافعية في زبيد ونواحيها فقد قضى عليه علي بن مهدي الرعيني سنة (٥٥٤) بعد أن ولي الحكم في زبيد ونواحيها وقتل كثيراً من علماء الشافعية لأنه كان حنفي المذهب ثم جاء أولاده بعده فقتلوا علماء الشافعية في الجند ونواحيه .

وكذلك فإنّ اهمال الكتب وتركها من دون استعمال يعرضها للتلف كما حدث ويحدث لآلاف الكتب التي التقتها الرطوبة والأرضة وغيرهما من سائر الآفات المسلّطة على الكتب لا سيما في زبيد والمناطق الحارّة الأخرى فإنّ التلف يُسرع اليها اذا لم تُستعمل او يُحافظ عليها باستمرار .

وهناك كثير من تراث اليمن قد تسرب الى اقطار اخرى مما ذهب من اصحابه او اشتري من ورثة اصحابها اذا كانوا جهلة او كانوا محتاجين . فكثيرا ما كانت تتعرض صنعاء والمدن الاخرى لحصار القبائل فتشتد الحاجة بالسكان وتنقطع عنهم موارد الرزق فيتدافعون لانقاذ انفسهم من الموت ببيع ما تحت ايديهم من كتب ونحف ومصوغا مستشهدين بقول الشاعر :

وقد تُخرج الحاجات يا امّ مالك كوائم من ربّ بهن ضنين

وكان اشد حصار عرفته صنعاء في هذا القرن هو حصار سنة ١٣٢١ (١٩٠٣) حينما حاصرتها قوات الامام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين المتوفى سنة ١٣٢٢ لأنّه كان فيها حامية عثمانية فنال الناس في صنعاء من ذلك الحصار بلاء ومجاعة شديدة فمات فيها من مات من الجوع والامراض واستفدى القادرون حياتهم بنفائس ما كان معهم .

وقد اشترى بعض موظفي الدولة العثمانية في اليمن كتبا كثيرة ومنهم المستشار حسني باشا الذي كان مستشار الوالي العثماني حسين حلمي باشا الذي قدم الى اليمن سنة ١٣١٦ (١٨٩٨) فقد اشترى كتبا كثيرة منها كتاب (العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم) بخط مؤلفه محمد بن ابرهيم الوزير باعها له محمد بن عبد الله بن الامام محمد بن عبد الله الوزير وقد نقلوها الى بلادهم فانتهى اكثرها الى المكتبات الكثيرة الشهيرة في تركيا ففي مكتبة علي اميري باصطنبول مثلا نحو ثلاثة آلاف مخطوط من اليمن وبعض الكتب التي كانت تنقل الى اصطنبول كانت تباع لتجار الكتب من الغرب وقد رايت عددا من المخطوطات اليمانية في مكتبة لَيْدن جاءت بالشراء ــ كما يقول حافظ المكتبة ــ من اصطنبول .

وكان يوجد في اليمن تاجر ايطالي اسمه (جوزيف كابروتي) أقام بها ثلاث سنوات (١٣٢٨ ــ ١٣٣٢) ، (١٩١٠ ــ ١٩١٣) وكان له دكان بسوق الملح بصنعاء حصل على نحو (١٦١٠) مخطوط نقلها الى ايطاليا واهديت سنة (١٣٣٧) ١٩١٩ الى مكتبة الأمير وزيانا في ميلانو بمناسبة مرور ثلثمائة سنة على انشائها وكان بهذه المكتبة من قبل قرابة مائتي مخطوطة جاءت من اليمن واهديت اليها سنة ١٣٣٢ (١٩١٤) . وسمعت ان التاجر احمد راوية من ذمار كان كلما ذهب الى الحديدة حمل معه اكياسا من المخطوطات لبيعها هنالك ومنها تحمل الى خارج اليمن وكان يشتري التاجر راوية الكتب من اصحابها

في ذمار بالجملة . وحصل العالم الايطالي (انسلدي) خلال وجوده في اليمن من سنة (١٩٢٩ ــ ١٩٣٢) على مجموعة من الكتب كما حصل العالم المستشرق الايطالي روسي حينما كان في اليمن من سنة (١٩٣٧ ــ ١٩٣٨) على (٥٥) مخطوطة وقد آلت هذه المجموعات الى مؤسسة كيتاني التي انتقلت الى الاكاديمية الاهلية بروما .

وكان الرحالة الالماني المشهور كارستن نيبور قد تمكن من الحصول على مجموعة نفيسة من المخطوطات حينما جاء الى اليمن (١٧٦١ ــ ١٧٦٧) وهي الآن في المكتبة الملكية في كوبنهاجن العاصمة الدنمركية وقد رأيت منها بعض المخطوطات حينما كنت في الدنمرك في شهر ايلول سنة ١٩٧٩م مدعواً من الحكومة الدنمركية. وحصل إدوارد غلازر المستشرق النمساوي خلال رحلاته الأربع الى اليمن فيما بين (١٨٨٢ ــ ١٨٩٢) على (٢٥٠) مخطوطة اشترتها مكتبة فينا ومكتبة برلين والمكتبة الوطنية في باريس .

ويوجد كثير من المخطوطات اليمانية في المتحف البريطاني وفي مكتبة كمبريدج وبودلين في اكسفورد ، ولا تخلو مكتبة من مكتبات جامعات اوروبا وامريكيا الشهيرة من كتب خطية جاءت من اليمن ، وفي مكتبة الكونغرس في واشنطن بعض المخطوطات اليمانية رأيت منها (البرهان في معرفة عقائد الايمان) لعباس بن منصور بن عباس المزوعي .

وقد حصل الشيخ محمد بن عبد الرحمن العبيكان على (٢٢٦) مخطوط يماني حينما كان سفيراً للمملكة العربية السعودية في اليمن في العهد الملكي وقد نشر لها فهرساً خاصاً سنة ١٣٩٠ .

وثمة كتب اخرى يمانية متفرقة في انحاء العالم العربي وغيره لا يمكن حصرها .